

الحج مظهر الوحدة الإسلامية

المناسبة: قرب موسم الحج

الحضور: القائمون على شؤون الحج

المكان: طهران . حسينية الإمام الخميني (ره)

الزمان: ٣١/٥/١٣٩٤ ش . ٧/١١/١٤٣٦ هـ . ٢٢/٨/٢٠١٥ م .

بسم الله الرحمن الرحيم (١)

مرحباً بكم كثيراً أيها الإخوة والأخوات الأعزاء القائمون على شؤون الحج، وأنتم تتولون واحدة من أجمل وأعظم المسؤوليات، وهي التمهيد لأداء فريضة الحج - هذا الواجب الإسلامي الفذ المنقطع النظير - لعموم أبناء شعبنا المسلمين المؤمنين. كما نشكر جهود الإخوة المسؤولين والأخوات المسؤولات - كما ذكر ذلك حضرة السيد قاضي عسكر ورئيس منظمة الحج المحترم - الذين تداركوا تمهيدات وأسباباً أفضل لتشرّف المؤمنين بأداء فريضة الحج. وهذا هو الصحيح. ينبغي تحسين العمل وتسهيله يوماً بعد يوم من أجل تحقيق أهداف الحج السامية، ينبغي العمل والجدّ. وكل واحد منكم أيها الإخوة والأخوات الذين تتحملون مسؤوليات معينة، لكم دور، فحاولوا أداء أدواركم على أحسن وجه وباندفاع وتحفز كاف، وبوقت كاف تخصصونه للعمل، وبإخلاص. مجموع هذه الجهود سيكون لها ثمرة طيبة حلوة هي تحقيق الحج المطلوب الجيد للناس.

وما أقوله لكم كتوصية هو أن الحج ليس لنا نحن الإيرانيين فقط، الحج للإسلام وللأمة الإسلامية ويضمن استمرار الإسلام. احترام أشهر الحج - وقد قرر الله تعالى حرمة لأشهر الحج، فهنالك احترام حتى للزمان وهنالك احترام للمكان - يدل على مدى عظمة وتأثير هذه العملية. هذا يدل على أن هذه الفريضة تتمتع بخصوصية بالنسبة للأمة الإسلامية لا تتمتع بها أية فريضة أخرى. ينبغي النفطن إلى هذا الجانب.

واللافت أن للحج سياقين متفاوتين يكمل أحدهما الآخر: أحد السياقين فردي والثاني اجتماعي. ينبغي مراعاة كلا السياقين والاهتمام بهما. السياق الفردي للحج يتعلق بكل واحد من الحجاج. كل واحد من الحجاج في هذا المقطع الزمني - فترة الحج والعمرة - عليه أن يتوجه إلى الله تعالى ويرتبط به ويستغفره ويتزود لنفسه. في الآيات الكريمة المتعلقة بالحج: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ (٢). هناك توصية بالتقوى. كل واحد من الحجاج المحترمين الذين تكتب لهم هذه النعمة الكبيرة يجب أن يفكر بملء أوعيته بالزاد - وَأَنْ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ - (٣)، ليستغفروا، ولينبوا، وليدعوا، وليطلبوا من الله تعالى، وليعاهدوا الله تعالى على مستقبلهم وحياتهم وأفعالهم ونشاطاتهم. هذا عن الجانب الفردي.

في هذا السياق الفردي للحج، على كل حاج أن يقرب نفسه إلى الله بهذا الفعل وهذا السفر، وعليه أن يطهر باطنه، ويتزود لباقي عمره، ففي هذا السفر وفي هذه الأعمال وفي هذه الأيام ينوع البركات والمعنوية للفرد. وعلى الحاج أن يعرفوا قدرها. ثمة أشياء لا يمكن تحقيقها للفرد إلا في هذا السفر: مشاهدة الكعبة عبادة، والطواف حول الكعبة عبادة، والصلاة في المسجد الحرام عبادة، وزيارة قبر النبي الأكرم (ص) عبادة، وعرفات ساحة لمناجاة الله، والمشعر مساحة للتوجه إلى الرب، وكذلك منى. على الحاج أن ينتفع من كل واحد من هذه الأعمال لتطهير باطنه، ولرفعة درجاته، وللتزود لكل عمره. هذا عن الجانب الفردي من الحج.

والسياق الآخر هو السياق الاجتماعي. الحج مظهر الوحدة الإسلامية؛ ألوان متنوعة، وجلود مختلفة، ووطنيات مختلفة، وهويات متعددة، ومذاهب متنوعة، وأذواق مختلفة، تجتمع كلها إلى جانب بعضها وتكون مثل بعضها. الكل يطوفون سوية، ويسعون سوية، ويقفون في عرفات والمشعر سوية، هذه الوحدة شيء مهم جداً. التعاطف الإسلامي وألفة قلوب المسلمين، ووحدة الكلمة تجسيدها الحقيقي يحصل في الحج. لا بالنسبة لشعب إيران فقط، بل لكل مسلمي العالم، وللأمة الإسلامية. لعنة الله على الذين حاولوا إبعاد حقيقة الأمة الإسلامية وأهمية الأمة الإسلامية عن الأذهان، وتقسيم المسلمين إلى أصناف متعددة ودوافع متعددة، وتضخيم الوطنيات مقابل عظمة الأمة الإسلامية الكبرى، وتمزيق الأمة الإسلامية، بينما الأمة الإسلامية كيان مهم، والعظمة للأمة الإسلامية. الله تعالى ينزل رحمته على الأمة الإسلامية، والحج مظهر لتكوين الأمة الإسلامية، فهو نموذج مصغر لكيان كبير؛ ﴿مِن كُلِّ فِجٍّ عَمِيقٍ﴾ (٤). يجتمع المسلمون من كل مكان ومن طرق بعيدة إلى جانب بعضهم، ويا لها من فرصة كبيرة أن يتحدثوا بعضهم مع بعض، ويتعاطفوا بعضهم مع بعض، ويسمعوا آلام ومحن بعضهم، ويبدوا مشكلاتهم لبعضهم لبعض. أين يمكن أن يحصل هذا في غير الحج؟ قضية الوحدة من الجوانب الاجتماعية للحج.

الجانب الاجتماعي الآخر إبداء عظمة الأمة الإسلامية. أن يجتمع عدة ملايين من الناس في مراسم معينة فهذا إظهار للأمة الإسلامية في مكان واحد. يشارك من بلد سكانه سبعون أو ثمانون مليون نسمة، قرابة خمسين ألف نسمة أو ستين ألف نسمة أو سبعين ألف إنسان، وهذا ما حصل بالفعل؛ هذا شيء يظهر عظمة الأمة الإسلامية.

جانب آخر يتعلق بتبادل التجارب. لكثير من البلدان الإسلامية تجارب. شعب إيران على سبيل المثال له تجربة في مواجهة العدو، وفي معرفة العدو، وتشخيصه، وفي عدم الثقة به، وفي عدم الوقوع في الخطأ في تمييز الصديق من العدو. لدينا تجربة. لم نقع في الخطأ في تشخيص الصديق من العدو. منذ بداية الثورة وإلى الآن أدركنا وفهمنا أن العدو الحقيقي، العدو اللدود اللجوج الدؤوب هو الاستكبار العالمي والصهيونية، هذا ما عيناه. وأحياناً نفس هذا العدو الأساسي والحقيقي يطلق كلامه على لسان الآخرين،

فلم نقع في الخطأ ولم نتوهم أن الذين يجري على ألسنتهم كلام الأعداء هم الأعداء، لا، صرّحنا وقلنا إن العدو هو الاستكبار.

انظروا إلى شعارات الشعب الإيراني في الثاني والعشرين من بهمن، وفي يوم القدس، وفي التجمعات الهائلة، شعاراته ضد الاستكبار وضد أمريكا وضد الصهيونية وضد الكيان الصهيوني المحتل، شعاراته ضد هؤلاء. والحال أن نفس هؤلاء يطلقون كلامهم أحياناً على لسان البلد الفلاني، ويقومون بأعمالهم عن طريق البلد الإسلامي الفلاني، لكننا لم نرفع الشعارات ضد ذلك البلد الإسلامي، شعبنا لم يرفع الشعارات ضد ذلك البلد الإسلامي، لماذا؟ لأنه يعلم أنه ليس العدو الحقيقي، بل هو مخدوع ووسيلة بيد الآخرين. هذه هي معرفة العدو، وهذه هي تجربتنا. بعض الجماعات التي كانت جماعات إسلامية، واستطاعت أن تجد لها فرصة في بعض البلدان، لم يكن لديها هذه التجربة ووقعت في خطأ، فتأقلمت مع من هو عدوها الحقيقي، وعملت ضد من هو صديقها، ولقيت الأضرار والخسائر إثر ذلك. من الله تعالى عليهم بنعمة فلم يعرفوا قدرها.

من تجارب الشعب الإيراني تحقيق الاتحاد. وهل اختلاف الأذواق والسلائق قليل في بلادنا؟ الاختلافات كثيرة في الشؤون السياسية والقضايا الفكرية والأمور العقيدية، لكن الشعب حافظ على وحدته رغم هذه الاختلافات. في بعض أنحاء بلادنا تعيش قوميات مشخصة، وهذه القوميات أيضاً تشارك في مراسم الثاني والعشرين من بهمن، ومراسم يوم القدس، ومختلف المراسم التي تجسد الثورة، كما يشارك فيها باقي أبناء البلاد. لدينا منطقة تتكلم الكردية، ومنطقة تتكلم البلوشية، ومنطقة تتكلم العربية، ومنطقة تتكلم التركية. أحياناً تكون تحركات هؤلاء لصالح الثورة ولصالح نظام الجمهورية الإسلامية أبرز وأهم من المناطق الأخرى، هذا بدوره واقع شاهدناه. هذه هي الوحدة الإسلامية وقد جرب شعب إيران هذا الشيء.

نمرّ بهذه التجربة منذ خمسة أو ستة وثلاثين عاماً، وهي أنه يجب وجود الاتحاد والوفاق بين أبناء الشعب. وقد حققنا بفضل هذا الاتحاد والوفاق نجاحات كبيرة. هذا شيء لم تعرفه بلدان أخرى ولا تزال لا تعرفه. يدخلون في صراعات بعضهم ضد بعض في داخل بلدانهم نتيجة اختلاف صغير - اختلاف إما طائفي أو قومي أو حتى حزبي - ويحاربون بعضهم بعضاً كالأعداء. الله تعالى سيسلب نعمته من هؤلاء طبعاً. ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كَفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ جَهَنَّمَ يَصَلُونَهَا وَيَنَسُّ الْقَرَارُ﴾ (٥). عندما لا نعرف نعمة الله التي تفضل بها علينا وأنعم بها علينا ولا نشكرها، وعندما نكفر هذه النعمة، فإن الله تعالى سيغيّر سلوكه مع هذا الشعب. ﴿لَمْ يَكْ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ (٦). طالما سرنا أنا وأنتم في الطريق المستقيم وفي الجادة القويمية وطابقنا أنفسنا مع الإرادة الإلهية - في حدود الإمكان، أما على النحو الكامل فنحن أصغر من ذلك بكثير - فإن الله تعالى سيبقي

نعمته علينا، ولكن حينما نخرب أنفسنا بأنفسنا، ونثير الاختلافات والنزاعات بأنفسنا، ونتأمر بعضنا ضد بعض، ويمسك بعضنا بتلابيب بعض، فإن الله سيرفع نعمته، فالله لا تربطه رابطة قرابة بأحد؛ ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكْ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾. النعمة التي يعطيها الله لكم لن يأخذها منكم ما لم تخربوا أنفسكم بأرضية تلك النعمة، إذا هدمتم أرضية النعمة ستسلب النعمة منكم. هذه تجربة الشعب الإيراني الذي استطاع حفظ النعمة الإلهية لنفسه. يمكن نقل هذه التجارب.

البلدان الإسلامية تواجه اليوم مؤامرة، هل ندرك هذا أم لا؟ ثمة اليوم مؤامرة لا ضد الشيعة ولا ضد إيران ولا ضد المذهب الفلاني المعين، بل ضد الإسلام. لأن القرآن للإسلام كله، والقطب والمركز الذي يهتف عالياً: ﴿لَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ (٧) ليس التشيع بل القرآن والإسلام، لذلك يعارضون الإسلام. إنهم يعارضون أي قطب وأية حنجرة توقظ الناس والشعوب. يعارضون أية يد تشتبك مع الاستكبار، وتلك اليد هي يد الإسلام، وتلك الحنجرة هي حنجرة الإسلام، لذلك يعارضون الإسلام.

وأساليب التعاطي والعداء مع الإسلام متنوعة؛ هناك صنوف وأنواع. يجتمعون ويفكرون ويجدون السبل للنفوذ والتغلغل من أجل توجيه الضربات والأضرار. في السنين الأولى لانتصار الثورة الإسلامية اطلعنا على أن الكيان الصهيوني عين جماعة وأعطاه المال لتفكر بشأن الإسلام والتشيع وتدرس وتطالع. طيب، لماذا هذه الدراسة والمطالعة؟ إنها من أجل أن ينظروا كيف يمكن إحباط هذا العامل العظيم وهذه الصحوه والبقظة الإسلامية. وكيف يمكن الإضرار بالشعوب المسلمة التي صحت وأدركت أنها قوية وقادرة على العمل. اجتمعوا وأنفقوا الأموال. هذا الذي ذكرناها كان إحدى الحالات، وهناك العشرات من المراكز - نعلم ببعضها ونخمن البعض الآخر - في أوروبا وأمريكا وفي الكيان الصهيوني، وفي بعض البلدان التابعة والخاضعة لأوامرهم، من أجل أن يروا ما هي السبل. وأنتم ترون بث الخلافات وإيجاد العنف والإساءة لسمعة الإسلام وتجزئة البلدان الإسلامية، والإيقاع بين الشعوب المسلمة، والإيقاع بين المسلمين، مما جعلوه ضمن مهماتهم الضرورية. في يوم من الأيام قد تكون وسيلة ذلك بلاك ووتر (٨) الأمريكية مثلاً، والوسيلة في يوم آخر داعش العراقية أو السورية أو ما إلى ذلك. يبحثون ويجدون وسيلة لخلق الخلافات والنزاعات.

هذه تجاربنا، وهي أمور أدركها وعلمها الشعب الإيراني عن كثب. حين نشدد كل هذا التشديد على قضية الاتحاد بين المذاهب الإسلامية، وبين الشيعة والسنة، وبين الشعوب الإسلامية، فليس هذا مجرد ألفاظ، إنما عرفنا الألم والداء، وعرفنا العلاج، وقلوبنا تتحرق للأمة الإسلامية، لذلك نتابع هذه الأمور. هذا شيء معروف واضح للشعب الإيراني لكنه غير واضح بالنسبة للكثير من الشعوب. والحج فرصة لنقل هذه التجارب وتداولها. طبعاً لهذه العملية معارضوها. الذين يرومون بقاء هذه الخلافات والنزاعات لا يريدون حصول هذه التبادلات والاتصالات ونقل التجارب. بالتالي يجب العثور على سبيل.

من الأعمال المهمة في الحج، هي هذه الجوانب الشخصية والفردية. حين نؤكد على الجوانب الاجتماعية للحج فيجب أن لا نغفل بذلك عن الجوانب الفردية كالتضرع والخشوع وخشية الله والدعاء. إنها فرصة جيدة، ولا يمكن أن يكون هناك مكان مثل المسجد الحرام، ولا مكان مثل مسجد النبي (ص). هذه فرصة توفرت لكم وتتوفر للحجاج. لا بدّ من درجة كبيرة من عدم التوفيق كي يترك بعض الأفراد هذا الشيء ويتوجهون للأسواق، وعند هذا الدكان وذاك الدكان. وقد قالوا إنهم منعوا التجول في الأسواق، ولكن تصلني بالتالي تقارير، وللأسف فإن بعض حجاجنا لا زالوا مبتلين بهذه التعاسة، يذهبون لهذا السوق عند صاحب هذا الدكان وعند ذاك التاجر - المرأة بشكل والرجل بشكل - ويشتررون بضائع رديئة بأسعار مضاعفة، ويشحنونها بالطائرة إلى طهران أو مدينة أخرى، هذا خطأ، هذا خطأ جداً. ينبغي أن يتفطن أبناء شعبنا إلى أن هذا عمل خاطئ. يمكن التبرّع من أي مكان، ويمكن التجول في الأسواق في كل مكان، ويمكن شراء البضائع من أي مكان، ويمكن إهدار الأموال بهذا الشكل في كل مكان - إنه إهدار للأموال بالتالي، ويمكن للمرء أن يهدر الأموال في أي مكان - ولكن اقصد العمل الذي لا يمكن القيام به في الأماكن الأخرى، ويمكن القيام به هناك. إنه النظر للكعبة، والصلاة في المسجد الحرام، وتقدير مواضع أقدام الرسول الأكرم (ص). الرسول الأكرم (ص) مشى وتكلم في هذه المدينة، وهذه الأجواء مليئة بأصوات نبي الإسلام الكريم (ص)، أليس من المؤسف أن لا يتنفس الإنسان في هذه الأجواء؟! يمكن القيام بتلك الأعمال في كل مكان من العالم، فاقصد الأعمال التي لا يمكن القيام بها في الأماكن الأخرى، وإنما هي خاصة بالحج. هذه هي توصياتنا. نتمنى أن يوفقكم الله تعالى جميعاً لحج مقبول إن شاء الله. ونحن بدورنا نسألکم الدعاء.

والسّلام عليكم ورحمة الله

١ - في بداية هذا اللقاء تحدث حجة الإسلام والمسلمين السيد علي قاضي عسكر (ممثل الولي الفقيه في شؤون الحج والزيارة) والسيد سعيد أوحدي (رئيس منظمة الحج والزيارة) فرفعا تقريريهما عن الإعداد لحج هذه السنة.

- ٢ - سورة البقرة، شطر من الآية: ١٩٧ .
- ٣ - سورة هود، شطر من الآية: ٣ .
- ٤ - سورة الحج، شطر من الآية: ٢٧ .
- ٥ - سورة إبراهيم، الآيتان: ٢٨ و ٢٩ .
- ٦ - سورة الأنفال، شطر من الآية: ٥٣ .
- ٧ - سورة النساء، شطر من الآية: ١٤١ .

٨ - من أكبر الشركات العسكرية الخصوصية التي تنفذ الكثير من المهمات الحساسة للبتاغون وال  
. C.I.A

